

الهوية والغيرية لدى بول ريكور -لحظة الثابت والمتحول-

د/ العربي ميلود*

1- الهرمونيظيقا كناسيس منهجي للبحث:

يقول بول ريكور معرفاً منهجيته المزوجة بين الظاهرية والتأويلية : "إن التأويل هو عمل الفكر الذي يتكون من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر، ويقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي. وإني إذ أقول هذا، فإني أحتفظ بالمرجع البدئي للتفسير، أي لتأويل المعاني المحتجبة، وهكذا يصبح الرمز والتأويل متصورين متعالقين. إذ ثمة تأويل، هنا حيث يوجد معنى متعدد. ذلك لأن تعددية المعنى تصبح بادية في التأويل"¹.

نستشف من هذا النص أن منهجية ريكور في تحديد المفاهيم تقوم من خلال الترحل بين تأويلات عدة ومقاربة صراعاتها حول معاني الأشياء المعطاة، لأن المفهوم يحمل في ثناياه معاني متعددة، وعادة ما يكون تعاملنا مع هذه المفاهيم بوجهة نظر تلقائية مباشرة، تخضع لنظرة أحادية موثوقة للمعاني الظاهرة وكأنها حقائق مطلقة، هذا ما يحجر الذهن على التعامل معها على نحو تساؤلي يعيد النظر إليها بطريقة تأويلية متفتحة، ومع حضور سلسلة تأويلات حيال كنه هذه الموضوعات وعللها وغاياتها وآلياتها نزول تلك الرؤية الأحادية، وتقلص الحقيقة المطلقة فتتكشف مثالبها وحجبها، فتحيلنا إلى البداية من جديد، أي إلى تعددية المعنى الظاهرة من خلال الهرمونيظيقا، لتبدأ هذه الأخيرة 'تحليلاً في فهم البنى الرمزية، وإنها لتتابع فتقيم مواجهة بين الأساليب الهرمونيظيقية، كما تقيم نقداً لأنساق التأويل، محيلة تنويع المناهج الهرمونيظيقية إلى بنية النظريات المناسبة(..) وهي بذلك تعد نفسها لممارسة مهمتها العليا، والتي ستكون تحكيماً حقيقياً بين الإدعاءات الشمولية لكل واحد من التأويلات"².

تأويلية ريكور لا تخضع المفهوم لتأويل واحد، بل تحاول أن تضبط مسار هذه التأويلات المتعددة لتنزهها عن الفوضى والاعتباطية، وتضعها في مجراها المنهجي والدلالي السليم، وبهذا نجد بول ريكور يتجه أكثر نحو ضبط المفاهيم ضبطاً يقيم من خلاله حواصل نظرية وإجرائية، مترفعاً عن المسوغات التي تطرحها منهجيات التأويل الأوحده والتي عادة ما تمارس سلطة مركزية في ضبط حدود الفهم لمعاني الأشياء.

و"بهذا يكون ريكور قد امتحن ذاته في مرآة التأويلات المتقابلة التي ما انفك يستقي من منابعها الأطر الفكرية والأشكال المفهومية، ويتجاوزها بصناعة مفاهيمه الخاصة"³.

فكيف سيصنع بول ريكور شبكته المفهومية الخاصة بكل ما هو محايث ومجاور لمفهوم الغيرية؟.

* - جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم وعضو بمخبر الأنساق، البنيات، النماذج والممارسات. جامعة وهران. الجزائر.

¹ - بول ريكور، صراع التأويلات، ترجمة منذر عياشي، مراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة لبنان، ط1، 2005، ص 44.

- المصدر نفسه، ص 46.²

³ - محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات - فصول في الفكر الغربي المعاصر -، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 2002، ص 68.

ريكور في سياق إرساء مفاهيمه الخاصة حول الذات والغيرية يعود دوماً إلى الكوجيتو، إلى الذات التي جعل منها ديكارت محور الحقيقة في هذا الوجود، أو سر ارتباطه بهذا الوجود، فالأنا الديكارتية لطالما سعت لأن تبلغ التأسيس المطلق والنهائي ما يجعل الأنا أفكر مغالية في العظمة إلى أقصى حد ممكن، وهذا التعالي للأنا لم يقتصر حسب ريكور على ديكارت وحده بل امتد إلى كانط ومن ثمة إلى فخته ليصل إلى هوسرل من خلال مؤلفه تأملات ديكارتية.

غير أن أزمة الكوجيتو لا يجب مطالعتها بعيداً عن أصل انبعاثها، فما تلاه لا يعدو أن يكون تبعات مفهومة الحدوث، إذ يقول: "يكفي أن نحاول أن نتحقق من هذا الطموح في مكان ولادته، أي عند ديكارت نفسه، كي نرى أن فلسفته تشهد بأن أزمة الكوجيتو كانت متزامنة مع تأكيد الكوجيتو"⁴.

لحظة تأكيد الكوجيتو كانت لحظة راديكالية، حينما وظف ديكارت شك لا يمكن فهمه وتوظيفه خارج الميتافيزيقا. مصحوباً بصورة خرافية تنوهمها هذه الأنا وهي شيطان وروح خبيث تضلل أرائي. غير أن هذا الكوجيتو ستتعبه مطرقة نتشه، والذي أراد توظيفها ليحطم بعدميته إرثاً فلسفياً في فهم الذات وعلاقتها المتشعبة. فبلغ الكوجيتو ذروة نقده مع نتشه، الذي يسميه ريكور بالمنائى الأكبر لديكارت. ف "نعرف جيداً أن نتشه انتقد بشدة المفاهيم التقليدية للوعي، للذات والروح، فرفض الاختلاف المفترض بين ما هو داخلي وما هو خارجي، ليمثل لحظة أساسية في هذا النقد"⁵.

لكن لم تحطم هذه التفكيرية التشوية هذا الكوجيتو بشكل كامل، لأن الذات لم تمت حسب ريكور بل أضحت هذا الكوجيتو مجروحاً، بسبب نتشه أولاً، وبسبب إلغاء الآخر، وجعل التفكير ينصب بشكل مطلق حول الذات الفاعلة.

وأمام هذا التصور السلبي للكوجيتو، والمنظور إليه من زاوية إرتيائية، تتراءى من خلالها الذات على أنها أكثر تشاؤمية، وأمام غياب تصور فلسفي لغوي كمعيار يضبط وفقه مغزى الوجود الإنساني وكوسيلة للتعامل مع المعاني المتعددة للذات والآخر، سيختار ريكور فكرة التوسطية بين الذات والآخر، أي إلزامية استحضار هذا الآخر والإنصات إليه، لأن وجوده ضروري في بعث ذات فاعلة تترحل في بوتقة نسق يدعى الغيرية، يمكننا من خلاله أن نكمد جراح هذه الذات المجروحة، وجعلها أكثر انفتاحاً على هذا العالم وعلى كل ما هو مختلف فيه، مدركة في الآن ذاته المسافات الزمنية بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وبالتالي فإن "هذا الفعل يسعى لتيسير الحوار بين ما كل هو مختلف، ويبحث في المسافة الفعلية داخل العلاقة القائمة بين الأنا والآخر، القريب والبعيد، بمساعدة التقسيم الموجود للوجود الكلي المنبث بين ثقافات متعددة"⁶.

وها هنا سبقهم ريكور اللغة لفهم هذه المعاني وإزالة اللبس الذي أضفته التفسيرات على المعنى الأصلي للأشياء.

⁴ - بول ريكور، الذات عينها آخراً، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناقي، المنظمة العربية للترجمة لبنان، ط 01، 2005، ص 74.

⁵ - Tamas Ullmann, Identité et intériorité, in, Le même et l'autre – identité et différence- actes d'un congrès international, Budapest 2006, ASPLF, p 345.

⁶ - François Dosse, Paul Ricoeur, les sens d'une vie. Edition revue et augmentée, paris, p586.

- نحو نشرح لغوي لسؤال الذات والآخر:

لعل البداية التأسيسية لدراسة الذات والآخر لدى ريكور تتماهى بطريقة تفكيكية، وذلك عقب النكسات التي شهدتها مفهومي الذات والأنأ، لذا ستكون أول مرحلة ريكورية في ضبط المفاهيم تتمثل في تحديد الإطار المنهجي لسؤال الذات والآخر، "فنحن نسأل عن الذات بالقدر الذي نهم فيه بالإجابة عن سؤال من؟ وليس عن السؤال ماذا؟ أو لماذا؟ على هذا النحو فإن مقولات القول والقائل، ثم القدرة على الفعل والفاعل، ثم السرد والراوي، وأخيرا مسؤولية الأفعال والذات الحاملة للمسؤولية تخضع كلها للاستقصاء الفينومينولوجي"⁷.

هذا الاستقصاء الفينومينولوجي سيدفع ببول ريكور إلى إقامة نوع من الفصل بين هذين المفهومين، فعلى المستوى المعجمي فإن هذا التباعد سيتخذ أشكالا مختلفة بحسب "الخصوصيات الصرفية النحوية الخاصة بكل لغة. ومن وراء هذا الترابط الإجمالي القائم بين الكلمة الفرنسية « soi » والكلمة الإنجليزية « self » والألمانية « selbst » والإيطالية « se » والإسبانية « semismo »، فإن قواعد هذه اللغات تتباعد. غير أن هذه التباعدات نفسها معبرة حين تضيء كل خاصية نحوية صرفية جزءا من المعنى الأساسي المنشود"⁸.

هذا التباعد اللغوي بين عدد من اللغات على المستوى النحوي والصرفي يمس بشكل كبير المعنى العام للمفاهيم ويؤثر في وظيفتها، ويمكن هنا مقارنة التعبير « soi » بالفرنسية مع التعبير بالاطالية « se »: "ففيما يخص اللغة الفرنسية فإن كلمة « soi » تحدد منذ البداية كضمير منفصل يصاحب الفعل الذي يصرف مع ضمير منفصل يصاحب الفعل الذي يصرف مع ضمير الفاعل (..) إلا أن هذا الحظر يرفع إن نحن قاربنا التعبير « soi » من التعبير « se » الذي يتعلق بأفعال بصيغة المصدر"⁹.

بعض التعابير والمفردات تتأسس مفاهيمها من خلال الحيز اللغوي الذي نشأت فيه، فكل لغة تقبل مفاهيم لتعابير معينة أكثر مما تقبله لغة أخرى.

وقبالة هذا المشكل اللغوي ستماهى مفاهيم الذات والآخر لدى ريكور من خلال مقارنة هذه التباعدات اللغوية، وإقامة إستراتيجية لغوية تعمل أساسا على تذليل المسافات القائمة خلف هذا التعدد اللغوي، فكان لا بد على ريكور قبل الخوض في مسألة الذات والآخر كقضية أخلاقية أن يؤسس لمفاهيمه الخاصة وتمييزها عن باقي أشكال الفهم، ليخلق نسقا تشكله بنى من المفاهيم يؤثر بعضها في الآخر بصفة تركيبية أو تحليلية، بنائية أو تضمينية، والنسق العام الذي يبتغيه ريكور مدخلا لهذه الإشكالية يتمثل في اعتماد صيغ لغوية واضحة لا لبس فيها كي يتمكن لاحقا من ضبطها فلسفيا، وأولى هذه الصيغ التي ضبطها ريكور هي للذات، فالقول "الإشارة

⁷ - بول ريكور، بعد طول تأمل - السيرة الذاتية -، ترجمة فؤاد مليت، مراجعة وتقدم عمر مهيل، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006، ص 126، 127.

⁸ - بول ريكور، الذات عينها كآخر، مصدر سابق، ص 68.

⁹ - المصدر نفسه، ص 68.

للذات، (..) مشتق هو نفسه من قلب إلى إسم للمصدر، "أن يشير المرء إلى نفسه". إن هذه الصيغة هي التي سنعتمدها بعد الآن كصيغة صحيحة متماشية مع القواعد"¹⁰.

عقب هذا الضبط اللغوي سينتقل ريكور إلى المفاهيم المؤسسة لسؤال الغيرية بغية استشراف النصوص الحاملة لها، إذ يرى أن محاولة توضيح معالم هذا السؤال وكشف امتداداته الوجودية لا بد أن يتولد عن وعي زمني عقلاني يتدارك اغتراب هذه المفاهيم وبالتالي اغتراب الفكر في التاريخ. لأن الغيرية باتت تمثل جوهر حركة التاريخ، وأن مستقبل الذات داخل هذا العالم منوط بترتيب مسبق يزرع تحت العلاقات التي تتحدد داخل نسق الغيرية. إن هذه المسألة اللغوية والوظيفية حيال مفهوم الغيرية لا يمثل إلا محاولة لنبيش ما وراء هذا المفهوم من إمكانات، فالذات بوصف أمر وجودها حقيقة حتمية، فلن تتأني إكتشافيته واستيعاب طبيعة ومعطيات هذا الوجود إلا من خلال الآخر، باعتبار أن الغيرية تمثل النموذج الإجرائي الموجه لحركية وتغيرات الذات والآخر على حد سواء.

وعليه فلا مناص من تطويق هذه المفاهيم في مجالها التداولي ثم الفلسفي، مع التأكيد على ضرورة التحرر من قيد هذه المفاهيم وإيجاد تقاربات إجرائية بين بعضها على جميع الصعد. ولعل أهم مقارنة سيقمها ريكور داخل ثنايا هذا الإشكال والذي يحمل الكثير من اللبس في توظيفه سواء على المستوى الإجرائي أو الفلسفي، تتمثل في إقحامه لمفهوم الهوية كمفهوم مركزي يتماهى بناء عليه حدود فهم الميكانيزمات التي تمثل أنجع المسالك لولوج نسق الغيرية، وبالتالي ولوج العالم بذات واعية، وآخر فاعل يحقق التواصل -ولو بشكل نسبي- بين الذات والعالم.

- ريكور وسؤال الهوية :

الهوية بمنظور ريكوري هي إستراتيجية تغييرية تتجاوز المساءلات الميتافيزيقية لتتجه صوب الصور والنماذج التي تتمثل من خلالها الذات، وتشكل مجموعة تمثلاتها داخل العالم، فقد حاول ريكور أن يمنح تصورا جديدا للهوية ولمفهوم الزمن، تتحدد وفق هذا التصور علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بالعالم أي بالآخر، فتتراءى بناء على هذه العلاقات مصير الإنسان وغايته في الحياة.

لكن قد لا يمكن تحديد معنى الهوية بعيدا عن التصورات الميتافيزيقية وعن سلطة برادغم الذات الديكارتية، إلا مع تأويلية الذات، وإعادة البحث عن تصور فلسفي لمفاهيم الذات والهوية والشخص، تكون كمعيار يضبط وفقه مغزى وجود الإنسان من خلال ضبط أشكاله الهوياتية، وكوسيلة أيضا للتعامل الفعال مع الزمن.

وعليه فإن سؤال الهوية لدى ريكور سيتخذ مستويات ثلاث، تؤطرها تساؤلات ثلاث:

* - ماذا أكون أنا؟ : هذا السؤال يناظر ويرمي إلى تحديد ميزة وخصوصية هذه الذات، وهذا التساؤل

يدرجه ريكور ضمن ما يسميه بالهوية المتطابقة l'identité-idem .

*- من أكون أنا ؟ : هذا السؤال يجيب عن قدرة الذات في الالتزام بكل وعودها، وهذا ما يسميه ريكور بالهوية الذاتية l'identité-ipse .

*- ما يتوسط هذه الأنا ؟: هذا السؤال لربما يمثل أهم مظاهر هذه الأنا، لأنني "أنا" في الأساس حياة مروية، وهذا النمط الهوياتي يدعوه ريكور بالهوية السردية l'identité-narrative . ويمكن أن نفهم هذه العلاقات الهوياتية من خلال استيعاب دقيق لمختلف الجوانب التي تتداخل فيها هذه الأشكال المعطاة فضمن "تصور ريكور للهوية الشخصية نجدها تتألف من قطبين مرتبطين مع بعضهما وفق علاقة دياكتيكية، أحد هذين القطبين يمكن أن يرسم التوازن القائم بين الهوية العددية للشخص، والفعل الذي يؤكد أن الشخص هو ذاته (soi- même)، من جهة إسكان الشخص في الزمن، ومن جهة أخرى أكون أنا ذاتي (moi- même)"¹¹ .

وعليه يمكن القول بأن العامل الذي كان وراء تماهي مفهوم الهوية لدى ريكور من خلال هذه الأنماط، تمثل في إدراك الرابط بين الذات والأنا، ما يترتب عنه ارتقاء وعينا بحركية هذه الأنا داخل الزمن المستمر، ما سيمنح الإنسان رؤية أكثر تفاعلية للوجود وأسئلته المقلقة.

ولعل المنطلق الرئيس الذي خلص إليه ريكور في ضبط نسق الهوية وغيرة الذات تمثل أولا "في استئناف سؤال "من؟" كما افترعه هيدغر في الفقرة 25 من الوجود والزمان. وتحويله إلى مقام نموذجي للبحث الفلسفي بعامة، وثانيا تمييزه الرشيق بين بعض المصطلحات التي طورها هيدغر(..). بين مصطلحي « Mémeté » (الهوية أو التطابق المنطقي أو الرياضي و « Ipséité » (الهوية التي ترفع الهوية identité الشخصية أو الجماعية من الدلالة الأنتروبولوجية للإنسان إلى الدلالة الفينومينولوجية للهو. وثالثا افتراضه بأن حل مسألة الهوية من حيث إنها تقوم أساسا بضرب معين من الزمانية هو "الاستمرار في الزمان"، يكمن في استعمال القصص (le récit) والسرد (la narration) لتشكيل هوية سردية"¹² .

بمقتضى هذا التشكيل تتحول الهوية بالرؤية الفلسفية المجردة إلى كيان مرحلي تتعاقبه أطوار تسلسلية تماثل مراحل التكوين البيولوجي لدى الإنسان، تتداخل ضمن نسق زمني يحدد الآليات وتتمظهر من خلاله أفعال الذات كتيار متدفق مهما زادت سرعته وهيجانه فهي تحافظ على شكلها الهوياتي، وفي هذا الصدد يطرح ريكور مثال يرى على أنه "يمسنا جميعا من قريب هو ديمومة الترميز الجيني لفرد بيولوجي، إن ما يبقى هنا هو تنظيم نسق تركيبي، إن فكرة البنية المعارضة لفكرة الحدث تتمشى مع هذا المعيار للهوية، وهو أقوى ما يمكن من المعايير، هذه الفكرة تثبت الطابع العلائقي للهوية"¹³ .

غير أنه لا يمكن أن نستوضح حدود الفهم الريكوري للهوية دون الحديث عن أزمة الوعي داخل الحقل الفلسفي.

¹¹ - János Kelemen, L'altérité de l'autre, un hommage à Paul Ricoeur, in, Le même et l'autre – identité et différence- actes d'un congrès international, op cit, p 103.

¹² - المسكيني فحجي، الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن، دار الطليعة بيروت، ط1، 2001، ص 10.

¹³ - بول ريكور، الذات عينها كآخر، مصدر سابق، ص 256.

– أزمة الوعي وإمكانية التجاوز الريبكوري:

لعل المقاربة التأويلية الريبكورية لسؤال الذات، كانت بمثابة حوار ما بين فلاسفة الحداثة وما بعد الحداثة، أو فلاسفة الوعي والوعي الزائف، باعتبار أن مشروع الحداثة هو رهن انطولوجيا الوعي، والانعطاف الحاسم في مسار هذه الأنطولوجيا يتمثل في فصل التلازم المنطقي بين العالم والوعي. فلم يعد نشاط الوعي هو خالق المعنى بل اللاوعي هو الحامل لتمثلات الذات داخل هذا العالم.

وبهذا انزاحت الفلسفة من لحظة الحداثة إلى ما بعد الحداثة، معلنة أهم مفهومي لعصر الحداثة الفلسفي ألا وهما العقل والوعي، إذ يقول عنهما نتشه: "...إنها أصنام خالدة نضربها هنا بالمطرقة... ليست هناك أصنام أقدم منها وأشد وثوقية منها فيما فعلته، أكثر منها تعجرفاً بأهميتها... وليست هناك أصنام أفرغ منها..."¹⁴.

ريبكور برغم توجهه الفينومينولوجي والمركز أساساً على فلسفة الوعي، أو الوعي بالأشياء. إلا أنه فضل أن يطرح تصورات من خلال صراع التأويلات بين مفاهيم الحداثة وما بعد الحداثة، ف "لم يدرج ريبكور صراع التأويلات سوى لغرض لعبته الخاصة على مسرح هذا الصراع، لأن تأويلاً واحداً لا يفي بقواعد اللعبة ولا يستنفذ أغوار المعنى. التأويل بالجمع أو تأويلات مختلفة هي اللعبة الفاصلة في إدراك المعنى، لكنه جمع يكشف في الوقت ذاته عن لعبة الهوية والاختلاف أو الذاتية والغيرية وسط هذا الصراع المؤسس"¹⁵.

الذاتية والغيرية لا يمكن أن تتأسس وفق ما يطرحه ريبكور وباقي الفينومينولوجيين إلا عن طريق القصدية، والقصدية يمثل أحد طرفيها الوعي بما هي ذات متحررة، والعالم الحامل للأشياء، وهدم أحد طرفي المعادلة القصدية هو اختراع وليس تأويلاً.

لذا بعرض صراع التأويلات بين الوعي واللاوعي يبرز أن ما يجب مواجهته "ليس شكاً ثلاثياً، ولكن مكرراً ثلاثياً"¹⁶. وهنا يقصد ريبكور نتشه، فرويد وماركس، "فهؤلاء الثلاثة يبدأون بالشك المتعلق بأوهام الوعي، وإنهم ليتابعون بحيلة تفكيك الشفرة"¹⁷.

فعن أي شفرة يتحدث ريبكور؟

لا ينفي ريبكور أنه هناك في مقابل وجود الوعي هناك الوعي الزائف، لكن هذا الوعي الزائف هو وعي مباشر للأشياء، من دون توسطات تأويلية لفك الرموز والعلامات والشفيرات، وهو ما يشكل جوهر عمل الوعي الحقيقي، لكن فلاسفة الشك الثلاث حاولوا إعلان موت الوعي وبالتالي موت الذات الفاعلة، ونهاية الآخر الذي هو صورة هذه الذات.

¹⁴ – نيتشه فريدريك، أقول الأصنام، ت: حسان بوقريه. محمد التاجي، إفريقيا الشرق، بيروت، 1966، ص 07.

¹⁵ – محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات – فصول في الفكر الغربي المعاصر –، المركز الثقافي العربي بيروت، ط 1، 2002، ص 68.

¹⁶ – بول ريبكور، صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، مصدر سابق، ص 137.

¹⁷ – المصدر نفسه، ص 193.

غير أن "هؤلاء الثلاثة بعيدون عن أن يشنعوا بالوعي، إذ يتطلعون إلى توسيعه. فما يريد ماركس هو تحرير التطبيق العملي (praxis) عن طريق معرفة بالضرورة. ولكن هذا التحرير لا ينفصل عن امتلاك "الوعي" الذي يرد بانتصار على خداع الوعي الزائف، وما يريد نشته هو زيادة قدرة الإنسان وإنشاء قوته (..)، وأما ما يريد فرويد فهو أن المحلل إذ يتبنى المعنى الذي كان غريبا عنه، فإنه يوسع حقل وعيه"¹⁸.

إذن يطرح ريكور تصورا فينومينولوجيا لعمل الذات ألا وهي توسيع مساحة الوعي لتشمل اللاوعي كذلك، ولكن عن طريق التأويل. والمثير في هذا التفسير الريكوري هو اعترافه تحت تأثير فرويد بوجود اللاوعي، ولكن كامتداد للوعي لا كمنافض له.

وهذا المنحى أراد ريكور منهجا منذ كتابه حول فرويد، فقد تساءل "كيف يجب علي أن أعيد التفكير بمفهوم الوعي وأن أعيد تأسيسه، وذلك بشكل يستطيع معه اللاوعي أن يكون آخره، وكذلك بشكل يكون فيه الوعي قادرا على هذا الآخر الذي نسميه اللاوعي؟"¹⁹.

يتعامل ريكور مع مفهوم اللاوعي باعتباره وعيا ينتظر الممارسة التأويلية ليصبح وعيا حقيقيا. وبهذا سيفجر هو بنفسه الكوجيتو الديكارتي وسيحرك الشكل الثابت لفينومينولوجيا هوسرل التي جعلت من الوعي بطلها الذي لا يهزم، وهو ما يجعل من الذاتية المتعالية منفتحة بشكل جوهري على الآخر.

غير أن ريكور سيطرح قضية التحام الوعي باللاوعي لإيجاد الصورة الحقيقية للواقع، فالذات لا يمكن أن تدرك ذاتها بشكل مباشر إلا من خلال الآخر، لكن هذا الآخر الفينومينولوجي لدى ريكور، سيمثله إرادة القوة واللاوعي والنشاط الاقتصادي. وهذه عبارة عن وسائل تجعل من الذات مرتبطة أوثق ارتباط بالعالم، وها هنا يبرز ريكور "أن هذه المقاربة غير المباشرة، والوسيلة للوعي لا علاقة لها بالحضور المباشر للوعي بذاته، مع يقين مباشر للذات بذاتها نفسها"²⁰.

لكن ألا يتجاوز ريكور باستحضاره للوعي ودججه في عملية إدراك الذات لتمثالات العالم، أستاذه هوسرل الذي يؤكد "أن الشيء الوحيد الذي يجب ذكره حقيقة هو عبارة : أنا موجود، وكل "لا أنا" هو ظاهرة تفتقد إلى علاقات ظاهرية"²¹ □

فاستحضر "اللاوعي" و "الأنا"، يعني تغييب الذات المتعالية ومنح السيطرة للمحايث، وهو ما يجعلنا نتحدث عن أزمة للذات وبالتالي أزمة للإنسان ككل، فلم تعد الذات تكفي نفسها بنفسها كما كان التاريخ مع هيغل، فكان شعار الذات المتعالية هو "أدخل إلى ذاتك عميقا وتعرف أولا كيف تعرف نفسك"²².

¹⁸ - المصدر نفسه، ص 193، 194.

¹⁹ - المصدر نفسه، ص 138.

²⁰ - المصدر نفسه، ص 151.

²¹ - Edmund Husserl, L'idée de la phénoménologie, trad Alexandre louis, P.U.F. Paris, 1993, p41.

²² - بول ريكور، صراع التأويلات، دراسات هيرومينوطيقية، مصدر سابق، ص 196.

ولأجل بلوغ هذه المعرفة يكفي الحفر في هذا العمق الدفين للوجود الإنساني لنستذكر ان ميتافيزيقا الذات وتمركز الذات حول نفسها كان دوما إغفال ونسيان لها، فتمركزية الذات يجعلها لا تفكر في تعدد الذوات بل تفكر في ما هو ثابت ومطلق فقط.

وهذا التمرکز هو نسيان مرضي للاختلاف فهي إذن نسيان للآخر، وبذلك سيمثل هدم مركزية الذات استرداد لوجود الآخر من حيث هو مغاير للذات، من حيث هو اختلاف منسي، لأننا لا نبحث عن ما فكرت فيه الذات بل ما فكر فيه الآخر لنقله إلى ساحة الشعور والاعتراف بوجوده وأحقّيته في الوجود بمعنى نقله من اللامفكر فيه إلى ساحة الشعور، ليس إذا هذا الآخر اللامفكر فيه شيئا خارجا عنا بل هو مؤسس لوجودنا.